سعيد أحمد الجناحي
كاتب صحفي، رئيس تحرير و صاحب صحيفة الأمل(سابقاً)
عدن، صحيفة 14 أكتوبر، العدد (7692)، السنة الثانية والعشرون، 1989/4/23م

أمنية الرحلة المفروضة

رحلة لم تكن متوقعة ، ها أنا على الطائرة أقبع في مقعد بين عدد قليل من المسافرين لا يتجاوزون الخمسة عشرة . الناس كعادتهم كما يبدو لا يحبذون السفر في رمضان . تتهيأ الطائرة للإقلاع، و يتهيأ المسافرون المشدودون إلى الكرسي بأحزمة طوقوها حول خواصرهم للارتقاء إلى فوق، إلى الفضاء، تقرأ على وجوههم الواجمة علائم الخوف و الإستسلام.

ناولني المضيف عدداً من صحيفة 14 أكتوبر مما ساعدني على فض بعض من الوجوم . لأول مره أفرد الصحيفة و أقرأ بعضا مما كتب أثناء رحلة الطائرة ـ شكراً .. لو وجدت بيضة لفقستها فرحاً كما يقولون.

ها هي طائرة رحلتنا تنطلق نحو السماء الملبدة بكتل من السحب ، أربعة أيام أخفت الشمس عن ناظرينا، لنراها بعد أن تجاوزت الطائرة السماء المسحبة، و لتمضي هذه المرة معتلية ما تبقي من السحب فوق قمم شمسان ، و عندما سألت المضيف عن سبب مرور الطائرة من ذلك ا لإتجاه الذي أختاره قائد الطائرة ؟ عشرات المرات سافرت من عدن إلى صنعاء لم تمر الطائرة من ذلك الإتجاه، قال المضيف: أختار الطيار هذا الإتجاه لتفادي السحب. و من بعض الفجوات شاهدت عدن من ذلك الاتجاه لأول مرة .

بديع الجو في عدن أليس كذلك؟ سألني الزميل على عبد الكريم ، رددت عليه: " و تشاء الظروف أن نترك جوا بديعا لنمضي في رحلة مفروضة و ما كانت متوقعه "، نظرت يسار اً لأرى ثلاث شابات أستسلمن للوجوم و القهر و أضافت عليهن العباءات السوداء طوقا من الحزن، كيف لأ ؟ و قد أختطف الموت عن الحياة و الادهن الكاتب سلطان ناجي قبل يومين و ماتت الفرحة الرمضانية و ها نحن معهن في الطريق إلى صنعاء للمشاركة في جنازته.

على علو 28 ألف قدم يقود قائد الرحلة طائرته ، الأرض محتجبة تحت السحب ، و لم يكن حديث قائد الطائرة الموجة إلينا سوى نوع من ا لإطمئنان، حيث حدثنا عن إرتفاع الطائرة و سرعتها و زمن وصولنا إلى صنعاء حيث أقتنص في سمائها فجوة نف ذ منها هابطا لتبهرنا المدينة المغسولة بالمطر حين رأينا لمعان المياه الراكدة.

درجة الحرارة 18، و نور الشمس يتسرب إلى المدينة، و يختفي من خلال كتل السحب السابحة في الفضاء مما أعتبره سكان المدينة تباشير توقف المطر بعد أربعة أيام من هطوله المستمر ، أيقن الناس أن إستمراره ربما يحدث مزيدا من الأضرار.

قصر سابق لواحد من أبناء (الأمام) مقرنا ، و يطلق علية الفندق، لقد تحول إلى فندق يحمل سمات القصر، بوابته أقواس نصفية و أبوابه الخشبية مزخرفة، و يقع وسط بستان بمساحة واسعة، و

ترى "دار الحمد " وسط الأشجار الباسقة الوارفة الظلال دائمة ا لإخضرار كتحفة فنيه تمثل الطابع الفني للهندسة المعمارية التقليدية اليمنية.

هذا سيكون سكننا، أما " أوراس " و " وريدان " و " أوسان " فقد أتجهن إلى أمهن و أخويهن في مقرهم إنتظاراً لأب قادم من لندن في تابوت حيث وافته المنية هناك. آه .. أيها الزمن !!

نفس الغرفة "بدار الحمد" التي أنزل فيها حين أصل إلي صنعاء لمهام ، و في مارس العام الماضي كان يحتل الزميل سلطان غرفة صغيرة بجواري يقضي فيها ساعات محشوراً بين الكتب ، يعود في المساء بعد أن يقضي وقت " المقيل " مع أصدقائه و معارفه ليواصل تناول القات وحيداً إلا من كتاب يقرأه أو موضوع يترجمه. و كنت أشاركه وحدانيته لبعض الوقت نتحدث فيه عن بعض موضوعات قرائها عن اليمن في مؤلفات باللغة ا لإنجليزية، و يستعيد ذاكرته مدققاً أو يعاود ا لإطلاع على مؤلفات صدرت بالعربية تناولت نفس الموضوع . قال لي مرة: (من الصعوبة بمكان أن يتمكن المؤرخ من كتابة التاريخ في ظل غياب الوثائق و في ظل عدم توفر تلك الوثائق بسبب عدم ا لإهتمام، ففي الغرب يتمكن المؤرخون و الباحثون من الحصول على وثائق بعد مرور فترة من الزمن بكل سهولة، و أرشيفات الوثائق لا تخلوا من أية وثيقة مهما كانت بسيطة بما في ذلك المعاهدات و الرسائل المتبادلة و التقارير، و لذا لا يواجه المؤرخ أو الباحث مشقه لإدراك الحقيقة كي يسجلها) . في جو مثل هذا كتب و ألف الأستاذ سلطان عبده ناجي عشرات المقالات و الدراسات و بعضا من الكتب لا زالت مخطوطه.

سمعت مرة طرقات على باب غرفتي، أستغربت أن يكون الطارق.. سلطان، لبيت طلبه لأن أواصل معه مضغ قليل من القات. قال: (سمعت خبراً محزناً ..أعذرني، قبل قليل سمعت خبراً من إذاعة عدن يعلن عن وفاة المسرحي " أربد "، صعقت تماماً، كان " أربد " قد هاتفني قبل سفري من عدن إلى صنعاء و أتذكر صوته حتى اللحظة: أرجوكم شوفوا لي وزارة الصحة .. شوفوا أنا باموت ! سمعت صوت سلطان يواصل حديثه: (تصوّر واحداً بجسم أربد يموت كيف بالنحاف؟) !.

ذهب سلطان و لم يعد. و تكريم الكتاب كأمثاله لا يكون بالإشادة بهم من منطلق أذكروا حسنات موتاكم. إن تكريم أمثال هؤلاء هو با لإهتمام بما تركوا وراءهم من جهد فكري و مؤلفات قضوا سنوات من أعمارهم إطلاعا و بحثا و كتابة، كثير منها لم تجد طريقها للنشر، لأسباب نعرفها ، ومنها عدم قدرة أغلب الكتاب على نشرها لا لشيء إلا لأنهم لا يملكون الإمكانات و ليس لدينا دور للنشر.

و مع ذلك كان المؤرخ سلطان عبده ناجي متفائلاً صرح بتفاؤله لصديقة محمد الآنسي بقوله : (إنني متفائل بأن وجود مركز للدراسات في صنعاء و مركز للبحوث في عدن يشكلان نواة لمراكز يمكن أن تكون إشاعاعات للفكر و الأدب) .

و حتى هذان المركزان ما لم يزودا بمطابع و إمكانيات سيظل دورهما للأرشفة فقط، و ستصطدم نشر الكتب و المؤلفات بالخارج بالعملة الصعبة و ربما يقتصر دورهما على التجميع و الأرشفة.

هل لنا أن ندعو بمناسبة تفاؤل سلطاننا الراحل .. إلى أهميه تأسيس دور للنشر و مؤسسة مركزية حكومية للوطن ؟؟

أيها المسئولون واصلوا تفاؤل المؤرخ وحققوا أمنية عشرات ومئات من الكتاب و الأدباء و الباحثين لنشر أنتاجهم الفكري و الأدبي.

إنها الأمنية و الحلم لكل المثقفين في عموم الوطن.

و لعل الحشد الكبير من المواطنين المثقفين و من الأدباء و الكتاب و الأساتذة الذين حضروا يودعونه ومشيعينه إلى مثواه الأخير في مقبرة "خزيمة " يعبر عن تقدير لأولئك الذين تذبل حياتهم مشقة وتعبا من أجل غيرهم ...يغادرون موقع "ا لأنا " إلى خدمه شعبهم و وطنهم لذلك ينهكون فيتركون الدنيا في عمر لم ينأوا بعد انتهائه .

نبضات قلم

حكمة الاسبوع :

سعيد احمد الجناحي

أمنية الرحلة المفروضة

رحلة لم تكن متوقعة .. ها انا على الطائرة اتبع في مقعد بين عدد قليل من المسافرين لايتجاوزون الخمسة عشر .. الناس كعادتهم كما يبدو لايحبذون السفر في رمضان .. تنهيا الطائرة للاقلاع .. وينتهيا المسافرون المشدودون الى الكراسي باحزمة طوتوها حول خواصرهم للارتفا الى فوق .. الى الفضاء .. نظرا على وجوههم الواجهة عالئم الخوف والاستسلام .

.. ناولني المضيف عددا من صحيفة ١٤ اكتوبر .. مما ساعدني على نفض بعض من الوجوم لاول مره افرد الصحيفة واقرا بعضا مما كتب انذاك رحلة الطائرة ـ شكرا .. لو وجدت بيضة لنشتها فرحا كما يقولون . هاهي طائرة رحلتنا تنطلق نحو السماء المليدة بكتل من السحب .. اربعة ايام اخفت الشمس عن ناظرينا ..لنراها بعد ان تجاوزت الطائرة السماء المسحية . ولتمضي هذه المرء معتلية مانيلي من السحب فوق قمم شمسان وعندما سالت المضيف عن سبب مرور الطائرة من ذلك الاتجاه الذي اختاره قائد الطائرة عشرات المرات سافرت من عدن الى صنعاء لم تمر طائرة من ذلك الاتجاه . قال المضيف : اختار الطيار هذا الاتجاه لتفادي السحب .. ومن بعض الفجوات شاهدت عدن من ذلك الاتجاه لاول مره .

وصولنا الى صنعاء حيث انتشى في سمائها فجوة نفذ منها هابطا لتنهرنا المدينة المغسولة بالمطر حين رانا لمعان المياه الواكفة .

درجة الحراره ١٨ .. ونور الشمس يتسرب الى المدينة .. ويختفي من خلال كتل السحب السابحة في الفضاء، مما اعتبره سكان المدينة تباشير توقف المطر .. بعد اربعة ايام من هطوله المستمر .. ايقن الناس ان استمراره ربما يحدث مزيدا من الاضرار .

.. قمر سابق لواحد من ابنا "الامام" مقرنا .. ويحاق عليه النفنق قد تحول الى فندق يحمل سمات القصر بوابته اقواس نحاسية وابوابه الخشبية مزخرفة وبقع وسط بستان بمساحة واسعة . وترى "دار الحمد" وسط الاشجار البالسقة الوارفة الظلال دائمة الاخضرار كتحفة فنية تمثل الطابع الفني للهندسة المعمارية التقليدية اليمنية .

هنا سيكون سكننا .. لما "اوراس" "وريدان" و"حيد" قد اتجهن الى لبهن والخوبهن في ملوهم انتظارا لاب .. قادم من لندن في تابوت حيث وافته المنية هناك .

اه .. ايها الزمن .. !!